

# الزراعة والحضارة

## كيف نشأت زراعة الذرة وأن

### وسائل البحث الزراعي التاريخي

طرائق التحقيق والبحث في تاريخ الذرة ، ونشوء زراعتها ، شأن خطير في نظر المؤرخ القليل من لا يقل عن شأنها في نظر علماء الزراعة والنبات ، وذلك لان الذرة من الحبوب الزراعية التي مكنت الانسان من التحضر . وطريق العالم في تحقيق أصل النبات هي ان يجمع ما يستطيع جمعه من الحقائق المعروفة . فيوفق بينها ثم يبني حكمه عليها . واذا اعوزته الأدلة الصريحة فكثيراً ما يلجأ الى ما يلجأ اليه القضاة احياناً فينظر في الترائن . واذا كثرت الترائن التي تدل على صحة الحكم زاد ثبوته ، اذ يعد ان تتفق قرآن كثيرة في دلالتها على صحة شيء ما لم يكن ذلك الشيء صحيحاً او قريباً كل اقرب من الصعقة . واذا بدالة — اي للعالم — من الترائن ما لا يلتزم مع غيره وجه عناية اليه وتعمق في البحث فيه حتى يتبين سبب هذا الاختلاف ، وقائلاً ما يكون حل السر ، مرتبطاً بمعرفة اسباب التناقض بين الحقائق المعروفة

واذا لراد نباتي ان يعرف الموطن الاصلي لجنس من النبات ائتمت اولاً الى النوع البري منه ومثت عن الأماكن التي ينمو فيها ، وقلنا تخطى طريقته هذه ، ولكن من اجناس النبات ما لا ينمو برياً ، فيستد هذا الباب في وجهه ، فيعمد عندئذ الى طريقة اخرى . وهي ان يراقب النبات في نموه ونشوء اعضائه ، ويقابل بينه وبين غيره ، لعله يستر على جنس يقرب منه ولو كانت جبل القرابة طويلاً . او قد يطرق في بحثه ، طريقة المقابلة بين بقاياه المتحجرة والنظر فيما يطلق عليه من الاسماء في اللغات المختلفة لان من ينقل نباتاً من بلاد الى اخرى لم يعرف فيها من قبل ، ينقل اسمه كذلك ، ولا يمتد بهذا الامر ولا يبني عليه حكم الا اذا امكن تأييده بقرائن اخرى

هذه هي السبل التي سوف نشير اليها في البحث عن أصل الذرة

اختلاف الاسماء فيرجع ان الذرة لا تنمو بيرة ولو وجد منها نوع بري لما خفي عن عيون الباحثين ، لاسيما وانها من اجناس النبات المشهورة . وهذا مما جعل تعيين موطنها الاصلي صعباً . وقد ذهب كثيرون الى انها نقلت من اميركا الى سائر البلدان وخالفهم آخرون فقالوا انها كانت تزرع في العالم القديم قبل انكشف عن العالم الجديد ، مستندين في ذلك الى بعض الأدلة التاريخية . واسم الذرة الشائع في الولايات المتحدة الاميركية مايز Maize وهو مأخوذ عن اصل هندي ، الا انه

لم يفتح إلا بعد سنة ١٥٧٠ وتعرف الذرة في أوروبا بأسماء تشعب بأن أصلها من البلدان الشرقية .  
 فالإنكليز يسمونها القمح الهندي Indian Corn والفرنسيون يسمونها القمح التركي Sic de Turquie  
 وتعرف في مصر بالذرة الشامية . لكن الذرة ليست قحاً ولا هي هندية أو تركية أو شامية، والنسبة  
 إلى البلدان لا تكون صحيحة دائماً . فالذرة الذي يسمى في مصر بالذرة الرومي يسمى في لبنان الذرة  
 الحبشي وفي إنكلترا بالتركي وفي فرنسا بالهندي . وقد قال أحد العلماء — واسمه ده كنتول —  
 إن الذرة كانت تعرف بالقمح الروماني في مقاطعتي البورين والقوج والقمح المستطلي في مقاطعة تسكانا  
 بإيطاليا وبالقمح الهندي في صقلية وبالقمح الإسباني في مقاطعة البيرنيه والترك ينسبونها إلى مصر  
 ﴿ هل الأصل شرقي ﴾ ولم يرد للذرة اسم في السنسكريتية ولا في العبرانية ولم يعثر لها على  
 أثر في النقوش والكتابات المصرية ، على ما يعلم . وقد وجد أحدهم صفيحة منها في طيبة ولكن  
 لا شك في أنها وصلت إلى تلك المقبرة في الأزمنة المتأخرة إذ لا يعقل أن يكون المصريون استعملوا  
 الذرة وعرفوها ثم اغفلوها في نقوشهم . ومن الثابت أنها لم تعرف في أوروبا قديماً ، ولكن البعض  
 كان يظن أنه أتى بها من الشرق في القرون الوسطى ومن القائلين بذلك عالم ينسب بوناغوس وهو  
 من أكبر من كتب في هذا الموضوع في أوائل القرن التاسع عشر ثم تابعه تفر كبير وكالوا قد اعتمدوا  
 على وثيقة تزويد رابعهم ولكن ظهر بعدئذ أن الوثيقة ملفقة في العصور الحديثة . فلم يبق للقائلين بالأصل  
 الشرقي ، من دليل يعتمدون عليه ، إلا صورة في مخطوط صيني خط ما بين سنتي ١٥٧٨ و ١٥٩٧  
 وتمثل تلك الصورة نباتاً يقرب من الذرة وقد كتب في أسفلها اسم الذرة في الصينية لكن البرتغاليين  
 أتوا الصين سنة ١٥١٦ أي قبل كتابة هذا الكتاب بنحو نصف قرن ولا يعد أن يكونوا هم الذين  
 أرسلوا الذرة إليها ، مما يؤيد ذلك أنه لم يرد لها ذكر في كتابات الصينيين الذين لم يغفلوا ذكر شيء فيها  
 ﴿ أصلها أميركي ﴾ فكوت الشرقيين عن ذكر الذرة في كتاباتهم القديمة ، دليل واضح على  
 أنها من أصل غير شرقي وقد انتشرت زراعتها بعد اكتشاف أميركا بسرعة غريبة ولو كانت في الشرق  
 قبل أن يأتى بها من أميركا لوجب أن يعرف قعها ويعتق زراعتها قبل ذلك التاريخ بزمن طويل  
 وليس من ينكر أن الذرة كانت تزرع في أميركا زرعاً واسع النطاق عندما كشف الأوربيون تلك  
 البلاد وكانت هم المحاصيل التي يعتمد عليها هنود أميركا ولها أسماء في كل لغاتهم ويستدل على قدها  
 وشأنها العظيم عندهم من ادخالها في أكثر شعائرهم الدينية . وقد وجد شيء كثير منها في قبور  
 الهنود الأميركيين ، وفي هياكل المعبودات في المكسيك ، كما وجدت الخطة (القمح) والشعير في  
 القبور المصرية القديمة . ويجب أن لا يفهم مما تقدم أن الأميركيين بدأوا زراعتها لما بدأ المصريون  
 بزراعة الخطة والشعير ، فإن عصر التمدن في المكسيك وبيرو متأخر عن عصر التمدن المصري القديم .  
 الآن أنتشار زراعتها في نواحي كثيرة من أميركا وكثرة أنواعها المستعملة في الزراعة تبعث على الظن  
 أنها عرفت منذ زمن طويل ، وقد عثر داروين على متحجرات منها ممتزجة بالصدف على شاطئ من

سواطحي بيرو وأميركا الجنوبية وقد ارتفع ذلك الشاطئ الآن ٨٥ قدماً عن سطح البحر  
**توطين موطنها في أميركا** يظهر مما تقدم أن موطن القرة الأصلي هو أميركا. ولكن  
 أي أقسام أميركا هو ذلك الموطن ؟

يعرف من طبائع هذا النبات أنه يجود في البلدان الحارة فيجب أن نبحث عنه في حالته البرية في  
 سهول الأقسام الحارة ونلتصق في السهول لأن النبات الذي لا يعمر إلا سنة واحدة لا ينمو في  
 الجراج والغابات. وقد كفانا علماء النبات عنه البحث الكثير إذ قد مضى عليهم أكثر من ٣٠٠ سنة  
 رادوا فيها السهول جميعاً ولم يدعوا نباتاً إلا وصفوه وشرحوا طبيعته ولم يعثروا على نبات بري من  
 القرة إلا أنهم عثروا على نبات يقرب منها في المكسيك وغواتيمالا ( أميركا المتوسطة ) وهو النبات  
 المعروف باسم ( تيوزنت *teosinte* ) فترجح أن سهول المكسيك وغواتيمالا هي موطن القرة الأول  
 والقررة أنواع كثيرة تعد بالآلاف والبعض منها يختلف عن البعض الآخر ، أكثر مما يختلف  
 التيزونت عن أنواعها القريبة منه ، وعلماء النبات يحملون التيزونت من جنس نباتي مستقل عن  
 جنس القرة ، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الجنسان نباتاً من أصل واحد ، لا يختلف عنهما أو عن  
 كل منهما إلا اختلافاً يسيراً . وأكثر أنواع القرة تكون الحبوب فيه حاربة من الغلاف والاستغناء  
 عن الغلاف درجة من درجات ارتفاعها ؛ فإذا لقيت الأنواع الحالية من الغلاف من بعض أنواع  
 الحبوب ذوات الغلاف أو النسل مثل الحبوب ، قريباً من التيزونت ، لا يفرق عنه إلا في وجوه  
 قليلة . ويمكن تفتيح القرة بالتيزونت ، والتيزونت بالقررة نياتي الفصل قوياً منتجاً ، وهو من الدلائل  
 على صلة النسب بين الجنسين . وثمة وجوه شبه أخرى بين القرة والتيزونت لا مكان للتبسط فيها  
 هنا وكلها تثبت وتؤيد صلة القرابة بين القرة والتيزونت

**صورة التطور العامة** فإذا جمعت كل هذه الحقائق وغيرها وضمت بعضها إلى بعض ،  
 انكسرت الرجوع بتصورنا ، نظري الزم السنين ، إلى الزمن الذي كانت فيه القرة تنمو في سهول  
 المكسيك وغواتيمالا وغيرها من بلدان أميركا الوسطى . وكانت سوقها إذ ذاك طرية يزيد ارتفاعها على  
 ارتفاع أكثر أنواع العصيلة النجيلية ، وتحمل حبوباً صغيرة في رؤوس اغصانها

ثم تكيفت ، أزهارها بمرور العصور ، فأصبح بعضها يحمل البويض ، وبعضها يحمل القحاح  
 ثم ظهر نوع قصير اغصانه كثيراً وعت أوراقه وتكيفت حتى أحاطت بالحبوب ، ووقفتها من  
 الطيور وبعض الحيوانات . فراق منظر هذا النبات بعض هنود أميركا ، وثبت لهم بقعة فاعتنوا به ،  
 ومن ذلك الوقت بدأت زراعة القرة وأخذت أنواعها تتكاثر حتى أصبحت تعد بالآلاف . ولا شك  
 أن الأميركيين الأصليين اظهروا من العقل والمنطق ، في انتخاب أنواع القرة : أكثر مما اظهروا في  
 تميزهم بها مع الأوروبيين الذين نزلوا بلادهم أولاً ، إذ كانوا يبيعونها ككديماً مقبول ما لا قيمة له  
 من الخرد والودع وقطع الزواج